واجب الفرد نحو المجتمع

للأستاذ محمود أبو ريه

حول الندوة الدينيه التى أقيمت بمسجد الرفاعى فى مساء ٢٧ من المحرم سنة ١٣٨١ وموضوعها « واجب الفرد نحو المجتمع » .

كان أول من تكلم فى هذه الندوة الوزير الصالح حسن عباس زكى وزير الاقتصاد التنفيذى الذى دعا إلى هذه الندوة فبين ما يجب أن يكون عليه الفرد من الصفات التى تجعله أهلا لأن يكون عضواً صالحاً فى جسم المجتمع ، ويستطيع أن يؤدى ما عليه من واجب نحوه — وذكر فى أول هذه الصفات أن يكون مؤمنا الإيمان الصحيح ، لا الإيمان الشكلى ، بأن تكون عقيدته فى الله خالصة من شوائب الشرك الجلى والخفى الذى تدسس إلى أمور كثيرة فى أعماله ، ثم أخذ يتكلم عن عبادة الصلاة فقال : إنها ليست مجرد حركات يقوم بها المسلم بغير روح ! وإنما هى التى يكون فيها مع الله وبذلك تنهاه عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الله .

وفى الحق أن السيد الوزير وهو يتكلم عن عقيدة التوحيد ، قد وضع يده على جل الداء المتفشى بين المسلمين فجعلهم على كثرتهم التى تبلغ مئات الملايين فى ساقة الأمم حضارة وعلما .

وعلى أن سيادته قد كان موفقا كل التوفيق فى كلامه ، وأنه قد قرطس إلى الغرض الصحيح من إقامه الندوة فإن ما قيل من الكلام بعده ، قد مال بها عن الغرض الذى وجدت له .

فالشيخ أحمد الشرباصى قد تكلم طويلا فى بيان مزايا الإسلام وما يجب أن يكون عليه المسلم نحو المجتمع ! وتكلم كذلك الوزير السيد الشرباصى عن أن الاسلام بما فيه من مبادىء صالحة للمجتمع ليس فى حاجة إلى التعاليم التى تفد عليه من الغرب . .

والكلام فى مثل هذه الندوة عن الاسلام وأغراضه وواجب المسلم نحو المجتمع لا يؤدى إلى نتيجة نافعة وإنما يقال — إذا كان الغرض منها معرفة (واجب المسلم

نحو المجتمع) ومثل هذا الكلام قد قيل كثيرا وشبعت النفوس من سماعة ومن أجل ذلك أصبح وليس له أثر فى الحياة .

إن الغرض الأول من إقامة هذه الندوة هو (واجب الفرد نحو المجتمع) فالكلام النافع فى هذا الموضوع . إنما يكون قبل كل شيء . وبخاصة فى مثل بلادنا . أن نطب لعلة هذا الفرد التى جعلته يتخلف عن أداء ما عليه من واجب نحو المجتمع وذلك بتدبير العلاج الناجح لشفائه واعداده الاعداد الكامل لأن يكون (فرداً صالحاً) لأداء ما يجب عليه نحو نفسه ونحو ربه ونحو المجتمع . ثم بعد ذلك نطالبه بالواجبات التى عليه نحو المجتمع .

هذا ما يجب أن يكون ، ذلك بأننا إذا لم نفعل ذلك يكون مثلنا فى مطالبة الفرد بأداء ما عليه من واجب قبل أن يتهيأ لأدائه مثل من يدفع إلى ساحة الحرب رجلا أعزل من السلاح ويكلفه أن يخوض غمرات الحرب ليصطلى نارها . وهو لا يعرف شيئاً من فنونها .

وما ظنك برجل مكبل بقيود متعددة مختلفة من الشرك والخرافات وذميم العادات فأصبح كالمقعد الذى لايستطيع السير فى حياته بنفسه وإنما يلجأ فى كل أموره إلى غيره فيتوسل بهم فى قضاء حاجاته وبلوغ آرابه .

هل تظن أن مثل هذا يعرف ما عليه من واجب نحو المجتمع ! بله أن يؤديه ! ؟ أنه لا يعرف حتى واجبه نحو نفسه ، فكيف تطلب منه أن يعرف ما يجب عليه نحو غيره ؟ .

إن الخرافات هى سوس الاجتماع لا تزال سوقها رائجة بل هى تزداد على الأيام رواجا بما تجد من أنصار يحمونها ، ويدافعون عنها ، لينالوا مآربهم بسببها فأول شيء يجب أن ترصد له العزائم والهمم هو العمل على استئصال ذرائع الشرك ، واقتلاع جذور الخرافات حتى تخلص النفوس مما يعوقها وتبدو على حقيقتها ، وتتجه إلى العمل النافع فى الحياة بكل قوتها فلا تدع وسيلة من وسائل العلم والتجربة إلا اتخذتها .

ومتى اعتصم الفرد من كل ما يعوقه وأصبحت عقيدته خالصة وعقله محرراً ، وفكره مستقلا بلغ كمال الرجوله — كما قال الأستاذ الإمام محمد عبده وحينما يصل إلى هذه الغاية ويبلغ هذه المكانة فإنه يعرف ولا ريب سبيله المستقيم فى هذه الحياة ،

ويدرك ما له وما عليه فيها فيندفع بوازع من نفسه إلى ما يجب عليه نحو مجتمعه ، ويصبح صالحا لوراثة الأرض التى وعد الله بأن يرثها عباده الصالحين .

وإن لنا لرجاء من السيد عباس زكى وهو الوزير العالم الصالح أن يتقدم فيحمل علم الاصلاح الدينى ولا يبالى شيئا فى سبيله حتى يصلح الشرق وقد آن ذلك — كما حمله من قبل لوتر فصلح الغرب وساد العالم جميعا .

وإن له فى علمه وإخلاصه وقوة يقينه وما يجد من تأييد رجال الثورة له ما يبلغ به — إن شاء الله — الغاية التى نرجوها والتى سعى لها المصلحان العظيمان جمال الدين ومحمد عبده اللذين جعلا صلاح الشرق فى كلمتين « تطهير العقائد وتحرير الإنكار » أعانه الله وهدانا جميعا سواء السبيل .